متى تصلح الحال

كان سكان البسيطة في زمن الحرب يتحملون الضيق منتظرين الفرج ويعللون انفسهم بقرب انفراج الازمة حالما تضع الحرب اوزارها . وقد مضت سنة الآن من حين عقدت الهدنة وبطلت الحرب واوربا لا تزال في قلق داخلي لا يقل عن الحرب هولاً .وهذا القطر لم يمرّ بهِ من الشدة زمن الحرب ربع ما مرّ بهِ بعدها. الغلاء فاحش والقلق مستمر والشكوى متوالية كان البلاد قدر على النار. وحال الدول الغالبة انكلترا وفرنسا وايطاليا ورومانيا وصربيا واليونان ليست افضل من حال الدول المغلوبة المانيا والنمسا وبلغاريا وتركيا . اما روسيا الغالبة والمغلوبة فحالها عدم . فمتى تصلح الحال ويجني العالم ثمار السلم

وعدنا في الجزء الماضي ان نذكر ما استدلّ بهِ المستر ماريوت على ان ممالك اوربا ستستردّ قوتها بعد سنوات قليلة وها نحن موردون خلاصة ادلتهِ الآن

قال الوزير لويد جورج « ان هذه الحرب الرهيبة استنزفت دماء الامم وما يشاهد الآن من القلق والضجر في كل مكان انما هو من حمّى الانيميا » (فقر الدم). وهذا التعليل غاية في الدقة كما ان التشبيه غاية في الانطباق على الحقيقة لان النتائج التي نتجت هي من مستلزمات الجهد الذي بُذل في السنوات الخمس الماضية كما هو ثابت بالاختبار حتى لقد انبأ بها الكاتب في السنوات الماضية بالقلم واللسان منذراً ابناء وطنهِ بحدوثها عند انتهاء الحرب بانياً حكمهُ على الحوادث التي حدثت بعد حروب نبوليون بين سنة ١٧٩٣ و١٨١٥ فلما كانت الحروب ثائرة كانت البلاد الانكليزية في نجاح مستمر زاد عدد سكانها في اثنتين وعشرين سنة من ١٤ مليوناً الى ١٩ مليوناً وزادت قيمة صادراتها السنوية من ١٨ مليوناً وثلث مليون سنة ١٧٩٢ الى ٥٨ مليوناً وثلثي مليون سنة ١٨١٤ . وزاد غنى الناس وزادت سعة عيشهم في كل سنوات الحرب وارتفعت الاسعار لان الاوراق المالية زادت في ايدي الناس زيادة فاحشة فانفقوا الاسراف كما حدث في السنوات الاربع الماضية

ولما وضعت الحرب اوزارها زال الغناء وابدلت السعة الموهومة بضيق حقيقي. لما كانت نار الحرب متأججة زادت الضرائب زيادة فاحشة لكن الناس احتملوها لكثرة ما اصدرتهُ الحكومة من الاوراق المالية ولكن زاد بها دين الحكومة

فبعد ان كان ربا دينها قبل الحرب تسعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات صار بعدها ٣١ مليوناً وزاد الدين نفسهُ من نحو ٢٤٠ مليون جنيه الى ٨٣١ مليون جنيه

ونفقات تلك الحروب لم تكن شيئاً مذكوراً امام نفقات الحرب الاخيرة فان تلك استمرت ٢٣ سنة لم يزد فيها دين انكلترا الاَّ نحو ثلاثة اضعاف او اكثر قليلاً اما السنوات الخمس الاخيرة فزاد الدين فيها اكثر من عشرة اضعاف

ومن اهم اسباب الاضطراب الذي حدث على اثر حروب نبوليون ابطال التعامل بالنقدين الكريمين الذهب والفضة وابدالهما بالورق فارتفع سعر الذهب وارتفعت بارتفاعهِ اسعار كل العروض فالورقة التي قيمتها خمسة جنيهات صارت تبدل بثلاثة جنيهات ونصف من الذهب . وصارت التجارة والزراعة من نوع المضاربة لعدم ثبوت الاسعار واستحال عقد العقود لانهُ ما من احد كان قادراً ان يعلم ما سيحدث بعد ستة اشهر او ستة اسابيع . واضطرب سعر القمح بنوع خاص ففي صيف سنة ١٨١٣ بلغ ثمن الاردب خمسة جنيهات واربعة عشر شلناً وهبط قبل آخر السنة الى جنيهين ونصف . وكان متوسطهُ سنة ١٨١٥ نحو جنيهين وربع ثم ارتفع سنة ١٨١٧ الى ثلاثة جنيهات وربع ثم هبط سنة ١٨٢٢ الى جنيهين وربع . وما من صناعة ولا تجارة تستطيع الثبات والاسعار تتقلب على هذا النمط . وزال اتتمان الناس بعضهم لبعض واضطرت بنوك كثيرة الى توقيف الدفع وابطل كثيرون من الزرّاع زرع الارض لان الاسعار العالية التي كانت في زمن الحرب زالت واما الضرائب التي زيدت في زمن الحرب على الاطيان فبقيت على زيادتها . واصاب الصنّاع ما اصاب الزراع فقد راجت مصنوعاتهم في زمن الحرب وحسنت حالهم فلما عقد الصلح بطل الطلب على مصنوعاتهم وهبطت اسعارها فجأة فكثر العاطلون . وزال افتخار الناس بثروتهم لانهم فقدوها سريعاً . ومما زاد الطين بلة كثرة الاعانات التي اعطيت للعمال والفقراء فانها زادتهم كسلاً على كسل وزادت اصحاب الاعمال ضيقاً على ضيق . ومتى وقع الانسان في ضيقة خرج عن طور العقل فلما غلا القمح صار الفقراء يهجمون على مخازنهِ ويحرقونها ويدخلون دكاكين الخبز واللحم وينهبونها . وجعل العمال في كل معامل البلاد يعتصبون طالبين زيادة الاجرة وترخيص الطعام

وانتقل الاضطراب من الامور المعاشية الى الامور السياسية فطلب المشاغبون ان

يصير حق الانتخاب عامًّا للجميع وان يتغير البارلمان مرة كل سنة وثبتت الاندية السياسية في كل مكان كالنبات فطلب بعضها اصلاح الدستور وبعضها الاشتراك في المقتنيات. ولم يقف الكتّاب النابغون بمعزل عن الغوغاء بل شاركوهم في النداء

والحال الآن ليست كالحال حينئذٍ من كل وجه ولكنها تشبهها من وجوه كثيرة فقد تلف جانب كبير من ثروة الامة وانفقت نفقات طائلة على امور لا تثمر شيئًا نافعًا . وتولّى الادارات الناس لم يألفوها فاسرفوا اسرافًا كثيرًا . واستدعت الحرب ان تزيد المعامل ما تحمله فاستنزفت قوتها في العمل وقلّت المواد الاولية لقلة وسائل النقل فشل ذلك ايدي المعامل . وكثرت نقود الورق فهبطت قيمتها وارتفعت بهبوطها اسعار الحاجيات والكماليات . وزادت الاسعار بزيادة اجور العمال وتقليل ساعات العمل . واستجار الناس بالديموقراطية حاسبين انها تنجيهم من كل المتاعب فكان مثلهم كالمستجير من الرمضاء بالنار

لكن الرزايا اذا توالت تولّت فالواقف في سنة ١٨١٥ كان اذا نظر حوله وامامهُ لم يرَ الاَّ ظلامًا دامسًا مثل مَن ينظر الآن ويرى الفوضى ضاربة اطنابها في اماكن كثيرة وثورات العمال متوالية لكن ذلك الضيق الذي شمل الناس حينئذٍ واستمرّ سبع سنوات قادهم الى ربوع الفرج واوّل عمل عملتهُ الحكومة الانكليزية حينئذٍ انها عادت الذهب الى المعاملة وذلك سنة ١٨٢١ فتحسنت المعاملات التجارية حالاً وارتقت وزادت الصادرات والواردات زيادة كبيرة

ومن رأي الكاتب ان اصلاح الحال في اوربا اصعب الآن ممّا كان بعد حروب نبوليون لان المناظرة اشد الآن منها حينئذٍ

اما نحن في هذه البلاد فيهمنا جدًّا اصلاح الحال في انكلترا وفي كل الممالك الاوربية لاننا مرتبطون بها ماليًّا ارتباطًا لا انفكاك لهُ . فاذا اختلّت امورها وعجزت عن ابتياع قطننا او عجزنا نحن عن استيراد القمح الحجري منها لري اطياننا وتشغيل سككنا قضي علينا ولكن الامر الاهم ان نصلح داخليتنا فنزيد العمل ونتقنهُ لنحني كل ما يمكن جناهُ من ارضنا ونوسع الصناعات التي عندنا حتى نستغني بها عن كثير مما نجلبهُ من المصنوعات الاوربية واليابانية . واهم من ذلك ان نقتصد في نفقاتنا الاقتصاد التام حتى نوفي ما لاوربا من الدين علينا فنتخلص من فوائدهِ وان نبتاع دين حكومتنا فيتيسر لنا تدبير امورنا بيدنا